صارت علي ثقلاً مللت حملها

لم نسمع قط في الكتاب المقدس أن الرب قد اشتكى من التجسد بكل ما فيه من إخلاء لذاته، ولا وجدنا في أي موضع في الأسفار المقدسة ما يوحي من قريب أو من بعيد بأنه تثقل من مسيرة الصليب بكل ما فيها من آلام. بل على العكس من ذلك كشف لنا بولس الرسول عن موقف يسوع من الصليب حين قال:" *... يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي*" (عب ١٢:٢).

أما أشعياء النبي فيكشف لنا عن مشهد عجيب مرعب. فها هو الله يستخدم الكلمات البشرية التي تعبر عن المشاعر السلبية ليصف مدى تضجره من الممارسات الطقسية لشعبه: " *لا تعودوا تأتون لتظهروا أمامي بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليّ ثقلاً مللت حملها*" (أش١: ١٣-١٤).

هوذا العقل يقف عاجزاً أمام هذه الآية العجيبة، فكيف له أن يتصور أن الله الذي جوهره المحبة يشعر "بمكرهة" و"بغضة"، الله طويل الأناة "لا يطيق" و"يمل"، الله كلي القدرة والقوة "يتثقل" !!! أي شيء هذا يا إلهي الذي استطاع أن يغلب محبتك، وطول أناتك، وقدرتك؟! أي شيء هذا الذي جعلك تبث شكواك لأشعياء نبيك، وتكشف له عن آلام قلبك. فلا المضطهِد، ولا الصالب، ولا حتى الشيطان بكل قواته أفلحوا قط أن يجعلوك تتفوه بشكوى من جهتهم!!

إنها "العبادة الباطلة"! وحين نقول العبادة فإنها بلا شك تتضمن الصوم. فها نحن على أعتاب موسم جديد من الصوم الكبير، وهوذا عام يمضي وعام يجيء، وصوم يمضي وصوم يجيء. إنني أتصور الله واقفاً على أعتاب الصوم شاكياً لملائكته وقديسيه تألمه من أصوامنا:" *صارت عليّ ثقلاً. مللت حملها*" ، أتصوره معاتباً إيانا :" *إن قربتم الأعمى ذبيحة أفليس ذلك شراً. وإن قربتم الأعرج والسقيم أفليس ذلك شراً. قربه لواليك أفيرضى عليك أو يرفع وجهك*" (ملا ١: ٨-٩).

" *وقلتم ما هذه المشقة وتأففتم عليه قال الرب الجنود*" (ملا١:١٣). أليست هذه الآية تصف بحق وبدقة لسان حال الكثيرين من جهة الصوم بكل ما يتطلبه من حجد للذات بكل شهواتها وأهوائها؟! لكن هوذا الرب يجيبهم قائلاً:" *فهل أقبلها من يدكم قال الرب* " (ملا ١:١٣).

ليتنا نفحص ذواتنا، ونضع في قلوبنا أن نقدم للرب صوماً مقبولاً فيشتمه كرائحة سرور، ويتشفع فينا الروح القدس من جهته متضرعاً عنا: "*إرفع كل إثم وإقبل حسناً*" (هو١٤:٢). نعم يا رب إقبل حسناً آمين